«ما لم تقُله الأرض» قصائد صوفية عمانية

مسقط – قدم الشاعر العماني وسام العاني مجموعة شعرية جديدة بعنوان "ما لم تقُله الأرض" وهو عنوان إحدى قصائد المجموعة التي ضمت ثمانية وعشرين نصا في 80 صفحة.

مجموعة "ما لم تقله الأرض"، الصادرة بالتعاون بين منشورات الجمعية العمانية للكُتاب والأدباء ودار نثر بمسقط، تراوحت النصوص فيها بين القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة، كما تنوعت مضامينها بين الذاتي والوجداني والشعر الصوفي الذي يدخل لأول مرة في مجاميع وسام العاني الشعرية، إضافة إلى نشيج الغربة المستمر والحنين إلى الأرض مواصلا حمل هموم وطنه الجريح وآلامه وآماله، وهو ما نجده في قصائد مثل "آدم الذي رأى"، "استراحة مقاتل"، "البدوي في متاهته"، "خرْف وحروب"، "فوبيا البياض"، "قميص آدم"، وغيرها.

قدم وسام العاني لمجموعته أبياتا ومقطوعات شعرية لشعراء بارزين، ففي العتبة الأولى يستعير قول الشاعر عبدالرزاق الربيعي "في بلاد نسج الخوف على الأعين ظل العنكبوتْ/ لم نعُدْ نبكي على من مات، بل من سيموتْ"، ومن الشاعر وليد الصراف بيته الشعري "لو مات منا امْرُؤٌ في الأرض ندفنُهُ/ لو ماتتْ الأرضُ! .. قُلْ لي أين ندفنُها؟"، ومن الشاعر خزعل الماجدي قوله "قالتْ الأرضُ لنا: الآن قفوا/ قلتُ في شيء من الحب لها: سيدتي .. هل تأمرينْ؟ / لم تكن وقفتُنا أمرا/ ولكن نحن طول العمر كُنا واقفينْ"، ليختم بعدها بأبيات الشاعر عدنان الصائغ التي يقول فيها "وأنا وأنت على الطريق/ ظلان مُنكسران في الزمن الصفيق/ إنْ جار بي زمني اتكأتُ على صديقي".

وتبدو اختيارات الشاعر لعتبات المجموعة واضحة الدلالة في التعبير عن الطاقة الكامنة في عنوان المجموعة وإيحاءاتها اللغوية والشعرية، كما تعبر عن إصراره على الاستمرار بحمل هموم الأرض وهموم الإنسان في وطنه الجريح، والتي يعبر من خلالها عن هموم الإنسان في كل مكان.

«معلم الآلة الكاتبة».. رواية بطلتها آلة

عمان – تدور رواية "معلم الآلة الكاتبة ولونُه الواحد" للكاتب المصري منتصر عبدالموجود، حول قصة معلم كان يُدرس الطباعة على الآلة الكاتبة، قبل أن ينقرض هذا النوع من الآلات وتحل محله وسائل التقنية الحديثة في الطباعة.

> الرواية تحفل بعدة مشاهد الرمزية التي تحضر فيها شخصيات اصطنعها خيال البطل ليضفي على حياته معاني إضافية

ويسترسل المعلم في ذكرياته متنقلا بين مراحل بدئه هذا العمل، وسفره إلى الخارج من أجل تطوير قدراته والاطلاع على آخر التقنيات في صناعة الآلات الكاتبة، ومراحل عمله في بلده، وكيف آلت حاله إلى موظف هامشي بعد أن توقفت حصص الآلة الكاتبة، ولم يعد يمارس مهمته التي اعتاد عليها لسنوات طويلة.

ويقرن البطل في الكتاب، الصادر عن "الآن ناشرون وموزعون"، بين الآلة الكاتبة وحياة الإنسان، جاعلا منها شاهدا على ضرورة الانضباط وعدم هدر الوقت والطاقات في ما لا يفيد، فيحاور تلاميذه في أحد النصوص الاستهلالية للرواية قائلا "حياة الآلة تُقاس بعدد ما تخرجه من أوراق.. الأوراق زمن الآلة؛ لذا لا تضيعوا حياتها في أوراق مكتوبة بالخطأ، لا تجعلوا الآلة تقضي كل عمرها في أوراق تكورها يدك وترميها في السلة الموضوعة عند قدميك.. من المخزي أن نهدر حيواتنا وحيوات الآخرين.. أليس كذلك؟!".

وتحفل الرواية بالعديد من المشاهد الرمزية التي تحضر فيها شخصيات اصطنعها خيال البطل الذي أراد أن يضفي على ملامح حياته معاني إضافية، فهو شخص متأمل ميال إلى فلسفة الأشياء، والنأي عن تفاصيلها اليومية التي لا تناسب رؤيته للحياة.

يصور عبدالموجود حال بطله في أحد الفصول قائلا "عاد إلى مكتبه، نام ليس رغبة في النوم، بل أملا في أن تزوره أشباح المكان؛ إذ يترسخ إيمانه برغبتها في استرداد كامل حقها في القصر الذي صار مدرسة. لم يأته سوى الحارس عند منتصف الليل، مضى إلى العذراء، ثم عكف على طقسهما حتى الصباح".

ويختلط الواقع بالخيال عند البطل فيقوده إلى حالات هذيان لا يفرق فيها بين الوهم والواقع، الأمر الذي يضفي على السرد المزيد من التشويق، ويفتح المجال واسعا للتأويل واستنطاق النص.

ورغم النهاية المأساوية التي تعرض لها البطل في الحكاية، إلا أن المشاهد الختامية للعمل تأخذ القارئ إلى مساحات من الأمل تجسدت عبر "الثورة"، وفيها تظهر طاقة الشباب ورغبتهم في التغيير. بذلك يغدو السياق الزمني أكثر وضوحا، وهو سياق شهد جملة من التغيرات، بدءا من التغير في تكنولوجيا الطباعة عبر الانتقال من الآلات الكاتبة إلى أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية، مرورا بالتغير في وسائل التعبير، وصولا إلى ضرورة الانتقال إلى المستقبل بحسب مفاهيمه وأدواته الجديدة.

يُذكر أن منتصر عبدالموجود أصدر سابقا ثلاثة كتب في الشعر، هي "حروب وهزائم" (2004)، و"الحنين.. سلة المفقودات" (2010)، و"ثمة أشياء لن يجربها" (2012)، وصدر له في النصوص "مديح البلدات الصغيرة" (2019).

آلة تخفي ماضيا وتفاصيل

«العَظْمَة» رواية معاصرة بنسيج متناقض

المكسيكية كريستينا ريفيرا جارسا تبشر بكتابة روائية جديدة

لا ندري هوية البطل رجل أم امرأة (لوحة للفنان خيرالله سليم)

محمد الحمامصي
كاتب مصري

في الرواية المعاصرة لم تعد أسس الحكي من زمان ومكان وشخصيات وأحداث ثابتة أو نسقية خبرية، تسعى إلى التأسيس لحكاية ما، بل تغير ذلك إلى النصوص التي تسعى إلى إثارة قضية ما وتساؤل مفتوح ومتجدد، لذا تفتح الرواية المعاصرة أكثر من واجهة لأجل تحفيز التساؤل والبحث والتفكير بدل التلقي السطحي.

تحتل الكاتبة المكسيكية كريستينا ريفيرا جارسا مكانة رفيعة في أدب أميركا اللاتينية والولايات المتحدة الأميركية، لتفرّد مشروعها الأدبي والرؤية الرحبة التي تتسم بها نصوصها المصاغة في نسيج يسطع فيه التاريخ والتأريخ والفلسفة والحرفة الأدبية والأسلوبية الرفيعة بين عناصر أخرى، هكذا تصف أستاذ اللغة الإسبانية وآدابها بكلية آداب القاهرة عبير عبدالحافظ الكاتبة المكسيكية في مقدمة ترجمتها لرواية "العَظْمَة.. عُرف إليون".

وتعتبر عبدالحافظ أن هذه الرواية جديرة بامتداح كاتبتها، كونها فريدة في تقنية بنائها الفني ورؤيتها الجمالية، حيث تجاوزت ما عرف بتيار الواقعية السحرية إلى خلق تيار جديد يتمتع بالجاذبية في الكتابة والقدرة على التشويق على الرغم من الغموض والالتباس الذي يلف الأحداث والشخصيات، لذا فإن القارئ لا يملك إلا مواصلة القراءة وهي قراءة ممتعة لفك شفرات المراوغة والإمساك بعناصر الرواية.

النص المستغلق

تلفت عبدالحافظ في قراءتها للرواية الصادرة عن مؤسسة بتانة، إلى أنه في المطالعة الأولى تتسلط على القارئ حالة من التشكك، ليس فقط في ما يختص بموضوع الرواية الأساسي بل تمتد حيرة القارئ إلى الأحداث والشخوص وهويتهم والصوت الراوي. ويرى المتلقي نفسه مضطرا لإجراء قراءة ذكية مدققة، يسعى فيها للتيقن من كل عناصر الرواية التي سعت الكاتبة متعمدة إلى بث روح التشكك فيها منذ السطر الأول حتى النهاية.

تتلخص أحداث الرواية في حالة التهميش المتعمد التي يواجهها البطل الطبيب المجهول، حيث يستقبل في ليلة عاصفة صديقته السابقة، وشخصية أخرى تدعى "أمبارو دابيلا"، وهو اسم لروائية مكسيكية شهيرة، غير أن الصفات التي تخلع على الشخصية لا ترتبط بنظيرتها في الواقع في شيء ما، فهي شابة وحسناء، عدا ممارسة مهنة الكتابة، التي تذكر في طيات الحكي بشكل عابر غير مباشر.

وتتابع عبدالحافظ أن المرأتين تقيمان في منزل بطل الرواية، وتربط بينهما علاقة إنسانية وطيدة، وتبدآن في التواصل معا بلغة غير مفهومة، يعجز البطل عن فك طلاسمها في البداية على الرغم من أنه يتحدث باللغة نفسها في نهاية الرواية. وتقلب هاتان المرأتان حياة البطل رأسا على عقب، بسبب نمط سلوكهما وتوحدهما في جبهة واحدة، وأريحية التعامل بينهما، وتهميشه، فيجد نفسه منبوذا غريبا في عقر داره. وبشكل موازٍ يواصل عمله في المستشفى الحكومي المتخصص في الحالات الحرجة.

وتضيف أنه من ناحية أخرى، يبدو أن موقع المدينة يقارب المنطقة الحدودية مع الولايات المتحدة الأميركية، ويظهر مخطوط "أمبارو دابيلا" الرواية التي تنتهي بأن يُودَع الراوي- البطل- في المستشفى نفسه الذي يعمل به الطبيب، ثم تدور الأحداث برتابة في شكل دائري ويعود الطبيب إلى منزله تحت حراسة مشددة من كل من "جاسبار" و"مويسيس" بإسقاطهما الديني، فـ"جاسبار" هو اسم أحد الملوك السحرة الذين تنبأوا بميلاد المسيح، والتالي هو اسم "موسى" كالنبي.

وتنتهي الرواية باعتراف الراوي البطل بعجزه عن كشف سر المخطوط وسر "أمبارو دابيلا" الأصلية والمزيفة، ويعود البطل إلى المنزل ليتحدث مع المرأتين، ويتذكر في الكلمات الأخيرة للرواية اسم عَظْمَة عرف إليون، وهي العظمة الموجودة في تجويف الحوض العظمي للمرأة، وبهذا الشكل تنتهي أحداث الرواية مع التشكك الدائم بهواجس البطل، أهو رجل أم امرأة.

وتشير عبدالحافظ إلى أن الرؤية الملغزة المتعمدة للكاتبة المكسيكية في الرواية تكسب الخطاب طابعا عابرا للحدود والهوية والجنس، غير أن الحدود هنا رمزية، وهي حدود بين الواقع والخيال، بين الرجل والمرأة بشأن الهوية والجنس والميول، وبناء على هذه السمات، وصف أدب كريستينا ريبيرا جارسا كـ"أدب النص المستغلق" وهو ما أجمع عليه عدد غير قليل من النقاد، وعمدت جارسا في مشروعها الروائي إلى التلاعب بشخوص العمل، ولم تلتزم بالنمطية في شبكة الشخوص التي انقسمت على النحو التالي: البطل- الرواية، المواطن، أمبارو دابيلا: الهوية المزدوجة، الناشط السياسي: الحراك المجتمعي، مدير المستشفى: السلطة، شخوص فرعية العامة.

وترى أنه على الرغم من قلة عدد الأفراد في المشهد الروائي، فإن شبكة العلاقات تتعقد بشكل كبير، نتيجة للتشكيك المستمر في ماهية الأشخاص، وتستعيض جارسا عن مثلث الشخوص التقليدي فتجعله كالهرم المقلوب، ليجعل الرجل بين امرأتين هو في الواقع ثلاث سيدات، ذلك أن هوية البطل ملتبسة، كما أن شخصية أمبارو دابيلا تنشطر في شخصيتين، بالمثل، فإن المعلومات التي تصل عن البطل أنه طبيب أربعيني نمطي في بلد الأرجح أنها المكسيك، يحيا حياة نمطية في مستشفى حكومي، ولا يعرف هل هو رجل أم امرأة، إذ أنه يتعامل بصفته المذكرة في حين أن بعضا ممن حوله يخاطبونه بصفة مؤنثة، وعلى رأسهم الكاتبة الحقيقة "أمبارو دابيلا" حتى أنه يضطر لممارسة الجنس الجماعي مع اثنتين من الممرضات ليتحقق من هويته الجنسية والذاتية.

في المقابل تتراجع صورة الرجل إزاء المرأة التي تبدو أنها تتمسك بمقاليد الحدث والفعل. وتطرح الكاتبة قضية الناشطين الذين يتعرضون للقمع والتعذيب والاختفاء، ويقع التلاعب بالتقارير الطبية التي تصدر بحقهم لإخفاء الحقائق والتعتيم على غيابهم، ويتضح ذلك في شخصية "خوان إسكوتيا" الذي أودع بالمستشفى نظرا لنشاطه الذي يبدو أنه سياسي، إذ لا يشار إلى ذلك صراحة، وقد لا يلحظ القارئ وجود هذا العنصر إذا تجاوز بشكل سريع، وتحديدا من خلال التقرير الخاص به الذي اهتم بتفاصيله مدير المستشفى الذي يرمز للسلطة .

هوية ملتبسة

تؤكد عبدالحافظ أنه تماشيا مع تيارات الكتابة المعاصرة مثل "الكراك" تحديدا، عمدت جارسا إلى إغفال بعدي الزمان والمكان بين تقنيات أخرى، تمكن القارئ من الاقتراب من حدود الزمان والمكان للرواية من خلال معلومات هيئة أدرجها الراوي عن البلد الذي تدور فيه الأحداث المتراكبة، والذي استنبط أنه المكسيك، نظرا إلى الوصف الجغرافي.

وتأرجحت حركة السرد بين الأماكن المفتوحة والمغلقة: المنزل المستشفى بيت أمبارو مشهد المحيط، فالمنزل يمثل بداية الأحداث التي تنتهي فيه أيضا، والمستشفى هو المكان الضدي لوجود يرفضه البطل، وبيت أمبارو الأصلية هو نقطة التقاطع بين الحقيقة والحقيقة الموازية، بينما المحيط بمشهده الشاسع هو ملاذ البطل الذي يهرع إليه في لحظات السكون والغضب والحيرة فيتحول المكان إلى إطار يحيط بالأحداث مفسحا المكان للفعل، لا الوصف.

وتغيب الإشارات الزمنية بشكل كامل، عدا معرفة عمر بطل الرواية الذي يذكر من بين السطور أنه مارس مهنة الطب أكثر من عشرين عاما، فيستدل على أنه أربعيني، غير أن النص يخلو من أي إشارة زمنية. يتسم إيقاع السرد وزمن الحكي بالتراتبية والبطء، ويخلو من القفزات الزمنية، أو السرد المنعكس، والفلاش باك، ويعمد الراوي إلى السرد البطيء، والحكي في خط مستقيم، وبالمثل يغيب الحوار ويحتل جانب السرد الأحادي الرواية من البداية إلى النهاية.

> صورة الرجل في الرواية تتراجع إزاء المرأة التي تتمسك بمقاليد الحدث والفعل وتطرح الكثير من القضايا الإنسانية

وتلفت المترجمة إلى أن حركة الحكي يتقلدها الراوي في ضمير الـ"أنا" البطل الشاهد، وعلى الرغم من أن السرد في ضمير الـ"أنا" يكسب النص وجهة نظر أحادية، هي تلك التي يطرحها صوت الراوي على مدار الرواية، فإن هيمنة صوته قاصرة عن تحديد تفاصيل الحكي، فمنذ البداية يتوحد الراوي- البطل في صوت واحد يضلل القارئ بشأن الهوية: هل هو رجل أم امرأة؛ وبذلك يتحول فعل الحكي إلى صياغة سلسلة من الاحتمالات.

هذا التضليل المتعمد يذكر بإحدى القصص للكاتب الأرجنتيني خوليو كورتاثار، وبهذا الشكل تشترك تقنيات السرد في جزئية الغموض مع سمة من سمات الكتابة السريالية، التي تبلورت في أحد جوانبها فيما عرف بتيار الواقعية السحرية، غير أن المعالجة مختلفة إلى حد بعيد، فيبدو هدف جارسا صياغة تيار مختلف للكتابة النسوية، وللرواية الجديدة، وللنص الروائي المحايد، سواء أكان بيد كاتب أم كاتبة، وسواء أكان البطل أو الراوي مونثا أم مذكرا في منظومة تتخطى حاجز الجندر، وتستخدم البطل الراوي أداة لتحقيق هذه المعادلة السردية.

وتوضح عبدالحافظ أن هذا التمويه المتعمد في صوت الراوي الممثل للبطل يصوغ كتابة المرأة في هدفين، الأول تقوض الكاتبة المكسيكية أيقونة كتابة المرأة عن المرأة، والثاني تطرح تقنية مجددة لهوية الراوي المراوغة، رجل أم امرأة.